# مشكلات وتحديات تعليم اللغة العربية بجامعة وارسو في بولندا

أ.د. كاترين باتشنياك

**إن الدراسات العربية التي تتم في جامعة وارسو هي الأكبر من نوعها في بولندا، وتضم ثلاث سنوات للمرحلة الأولى لدراسة الليسانس تليها سنتان للمرحلة الثانية لدراسة الماجستير. ونقوم حالياً بتدريس أكثر من سبعين طالباً في سنوات الدراسة الخمس. يحتوي البرنامج الغني للدراسات العربية والإسلامية على تدريس علوم اللغة العربية بمختلف أشكالها بالإضافة إلى ذلك لدينا محاضرات عن الإسلام وعن الأدب العربي بشقيه القديم والحديث، وعن تاريخ الدول العربية بمراحله المتتالية منذ فترة ما قبل الإسلام إلى الفترة الإسلامية والعصر الأموي والعباسي وصولا إلى التاريخ المعاصر للدول العربية. ونقدم برنامجاً متكاملاً للتعريف بقواعد ونحو اللغة العربية، ومحاضرات عن الفلسفة وعن الوضع السياسي والاقتصادي للعالم العربي وتاريخ الفن العربي والإسلامي. علاوة على ذلك فإن الطلاب يدرسون مواد عامة ناتجة عن برنامج الدراسات الجامعية الملزمة للفروع الإنسانية في الدراسة ضمن الجامعات البولندية كُكُلّ. خلال خمس سنوات نريد أن نعلم اللغة العربية ولكننا نريد أن نعلم طلابنا أيضاً مهارات أخرى تتعلق بالثقافة والدين والسياسة في العالم العربي منذ بداية الإسلام وحتى وقتنا الراهن. وبالطبع فإن اللغة العربية تُعتبر مادة جوهرية في برنامج تدريسنا وتشكل مفتاحاً للدراسات والبحوث الرامية لفهم المشكلات والميادين الباقية.**

ولكن الحالة في تدريس اللغة العربية في بولندا تختلف تماماً عما هي عليه في الدول العربية. ومشكلاتنا مختلفة والصعوبات التي تعترضنا أثناء التدريس هي مختلفة أيضاً. نحن في بولندا نتكلم اللغة البولندية التي تنتمي إلى مجموعة اللغات السلافية المكتوبة بالأحرف اللاتينية. لذلك فإن طلابنا عندما يبدؤون الدراسة في قسمنا لا يعرفون اللغة العربية وخلال خمس سنوات عليهم أن يتقنوا الكتابة والقراءة والتكلم على مستوى عالٍ باللغة العربية التي هي غريبة عنهم نطقاً وكتابةً وأسلوباً. الوضع مختلف تماماً فيما يخص اللغات الأجنبية الأخرى كالإنكليزية أو الفرنسية أو الألمانية أو حتى الروسية والتي يطّلع عليها أو يتعلّمها الشباب البولندي منذ الصِّغَر. علاوة على ذلك فإن الدراسة في قسم الدراسات العربية والإسلامية بجامعة وارسو هي ليست دراسة لغوية فقط وإنما نسعى من خلالها أن يتعرّف طلابنا بشكل واسع على كل جوانب الثقافة الإسلامية سواء خلال مراحلها التاريخية المتعددة وحتى وقتنا المعاصر. لذلك تتطلب الدراسة من الطلاب مجهودا ووقتا كبيرين واهتماماً وشغفا حقيقيّين.

لا توجد في بولندا امتحانات قبول في الجامعات، ويدخل الطلاب إلى الجامعات استناداً لمجموع الدرجات التي يحصلون عليها في شهادة إنهاء الدراسة الثانوية والتي تبلغ ١٠٠ درجة. يدخل إلى قسم الدراسة العربية والإسلامية الطلاب الذين يحصلون على معدلات عالية لا تقل عن ٨٥ درجة. ولكن المستوى العالي للدرجات في شهادة إنهاء المرحلة الثانوية لا يعني بالضرورة وجود استعداد لتعلم اللغات وخصوصا العربية منها عند الطالب المتفوق. ولا توجد أيضا إمكانيات للتأكد من أن الطلاب يصلحون لهذه الدراسات أو وسائل إقناع بأن الدراسة وبالأخص على السنة الأولى لا تسمح بالغياب عن الدروس وقبل كل شيء عن دروس اللغة العربية، وفي حال التغيب عن الدروس لا توجد إمكانيات لاستكمال النقص الحاصل في المعلومات المعطاة. إن مجمل برنامج الدراسة فيما يخص اللغة العربية يتضمن على السنة الأولى: (١٠ عشر) حصص للتعلّم العملي للغة العربية، وحصتان محاضرات في النحو والقواعد، وحصتان للتمرينات على النحو والقواعد، وحصة في علم النطق وحصة


ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

في علم الخط العربي. بالإضافة إلى ذلك توجد محاضرات وحصص عملية في مواد أخرى. وكذلك هو الأمر على السنة الثانية وعلى السنة الثالثة من الدراسة حيث يدخل في المنهاج أيضا دروس في ترجمة النصوص الكلاسيكية والحديثة من اللغة العربية القديمة والمستعملة عصرياً. يجب على الطلاب أن يخصّصوا وقتاً طويلاً لدراسة اللغة. إن أهم الصعوبات التي تعترض الطلاب هي:

- تعلّم الكتابة. عليهم أن يتقنوا أبجدية جديدة وغريبة تماما عليهم ويبدؤون تعلّم اللغة من تعلّم الحروف. بالنسبة للمدرّسين فإن المشكلة تكمن في أن المجموعة التي يكون تعدادها في البداية أكثر من ٢٠ طالباً تختلف فيما بينها في وتيرة إتقان حروف الأبجدية والنطق بها بشكل سليم. علاوة على ذلك فإن من بين طلابنا مَن هم مِن عائلات مختلطة بعضهم - وهم قِلّة - أنهى المرحلة الثانوية في إحدى الدول العربية حيث نقوم بإعفائهم من دروس اللغة العربية، والجزء الآخر منهم يسكن في بولندا وقد أنهى هنا المدرسة. وهم يتكلمون اللغة العربية مع آبائهم في البيت وعلى الأغلب باللهجة العامية وقليلاً ما يتقنون اللغة العربية الفصحى لذلك لا يتم إعفاءهم من دروس اللغة العربية وإن كان من السهل عليهم إتقان النطق السليم وتعلم الأبجدية بسرعة.
- الصعوبة التالية هي علم النطق في العربية. إن الطلاب لا يجدون صعوبة في نطق الأحرف العربية الشبيهة بالأحرف المتواجدة في اللغة البولندية بينما تتطلب الأحرف الخاصة باللغة العربية جهداً خاصاً وتدريبا عليها لإتقان النطق السليم بها. ولأن طلابنا لا يجدون فرصة لسماعها في محيطهم كما هو الحال في الدول العربية فإنهم يتعلمون النطق "اصطناعيا" سماعياً مرددين وراء المدرس. وهنا تبرز عند بعض الطلاب مزايا ومواهب أكبر من غيرهم في استيعاب ونطق الأحرف العربية الصعبة، ولا يتعلق ذلك على الأغلب بمدى اجتهاد الطالب أو نشاطه.
- من وجهة نظر الطلاب هناك مشكلة أن في اعتقادهم يجب أن يكون الدوام الجامعي منتظم ويومي. بعضهم يعتقد أن القضية تشبه تعلم اللغة الإنكليزية أو غيرها من اللغات الأوروبية التي يتعلمونها منذ السنة الخامسة من عمرهم أحيانا، وأن تعويض ساعات الغياب عن الدروس ممكن ولا يسبب إشكالاً. جزء منهم لا يفهم أنه فيما يتعلق بلغة صعبة وجديدة كلياً بالنسبة له كاللغة العربية يجب بذل جهود كبيرة والعمل بمثابرة لاستيعاب مبادئ وأسس اللغة. علاوة على ذلك أصبح من الممكن في بولندا منذ عدة سنوات ضمن الشباب دراسة فرعين أو أكثر في ذات الوقت (الجدير بالذكر أن الدراسة في بولندا مجانية، ولكن توجد جامعات ومدارس عليا خاصة). بشكل عام نشجع على ذلك ولدينا العديد من الخريجين الذين أنهوا قسم الدراسات العربية والإسلامية بالإضافة إلى الحقوق أو العلوم السياسية أو الصحافة أو قسم آداب آخر أو العلوم الاجتماعية أو الفلسفة أو ما شابه ذلك. ولكننا لا ننصح بدراسة فرع آخر منذ السنة الأولى قبل التمكن من أسس العربية وغالباً ما يصعب علينا إقناع الطلاب بذلك.
- إن البنية النحوية للغة العربية تعتبر من الأمور الصعبة أيضا. يحتاج الطلاب إلى وقت معين حتى يتعودوا عليها ويبدؤوا التفكير بالعربية مبتعدين عن القوالب النحوية الغربية والسهلة بالنسبة إليهم. لديهم صعوبات بهضم التركيبات النحوية الطويلة كالإضافة المتعددة مثلاً. لا يفهمون أيضاً القواعد التي لا مثيل لها في اللغة البولندية كالمثنى على سبيل المثال أو "ال" التعريف. ومن الصعب عليهم أيضاً فهم الجذر الثلاثي أو الرباعي للكلمة في اللغة العربية مع ما يرافق ذلك من أفعال مجردة ومزيدة تصل طبقاتها إلى بضع عشرة طبقة. بينما لا يجدون صعوبة في تصريف الأفعال على الضمائر المنفصلة لوجود مثل هذه الصيغة في اللغة البولندية يفهمون أيضاً بسرعة حالات الرفع والنصب والجر الثلاث لأنها في البولندية تبلغ سبع حالات. ترتبط بذلك مشكلة تالية ألا وهي: إلى أي وقت يجب مطالبة الطلاب بتحريك نهاية الكلمات؟ على الأغلب يتعلق الأمر بالمدرّس نفسه.

إن العثور على مدرّس كُفءٍ ومؤهّل بشكل جيد لتدريس اللغة العربية في بولندا ليس من الأمور السهلة. في قسم الدراسات العربية والإسلامية يقوم بتعليم اللغة العربية مدرّسون عرب أو ينحدرون من أصل عربي يمتلكون مؤهلات وتجربة طويلة في تعليم اللغة العربية للطلاب البولنديين بالتحديد مراعين كل الفروق

والتشابهات الممكنة بين اللغتين العربية والبولندية. وخلال سنوات عديدة تتالى في التعليم بين جدران صالاتنا مدرسون من مختلف الدول العربية، وأذكر منها: سورية والعراق ومصر وفلسطين والسودان. في السنوات الأخيرة لدينا: مدرسان من أصل سوري، وواحد من أصل عراقي، ومدرّسة من أصل مصري كان والدها أستاذا لعدة سنوات في القسم يدرّس العربية ومواد أخرى حتى أنه رأس قسم الدراسات الإسلامية الأوروبية لفترة من الزمن قبل وفاته. مدرّسو العربية في قسمنا يقيمون في بولندا منذ أكثر من (٢٠ ثلاثين) عاما يجيدون اللغة البولندية بطلاقة، لديهم تجربة وخبرة طويلتان في التعليم. ومع مرور الأيام للأسف سيتقاعد اثنان منهم في نهاية هذا العام والثالث بعد سنتين. هذه مشكلة سيعاني منها القسم قريباً لأن إيجاد معلّم مؤهّل وذي خبرة في المجال التربوي تتلاءم معرفته مع متطلّبات التدريس في القسم هو أمر صعب للغاية في ظلّ انعدام استمرارية العمل التربوي من ناحية تَتالي الأجيال وانعدام انشغال الشباب الواعدين في النشاط التعليمي. القسم بحاجة لأشخاص علاوة على معرفتهم الممتازة باللغة العربية يجب أن يتمتعوا بخبرة في التعليم وإيصال الأفكار للمتلقي البولندي لأن الإحاطة التامة بالعلوم لا تعني بالضرورة إمكانية إيصالها وتعليمها للغير. على المدرّس الأكاديمي أن يتحلّى بمعرفة جيدة باللغة العربية الفصحى وأن يستطيع نقل أسسها ومبادئ أبجديتها وتركيبها النحويّ ونطقها السليم للطالب البولندي الذي لم يكن له اتصال سابق معها. خلال ثلاث سنوات استمرار دراسة الليسانس وسنتين من بعدها في استمرار دراسة الماجستير على الطلاب أن يُتقنوا استخدام المواد المتنوعة وأن يتكلّموا بالعربية بأكثر طريقة ممكنة. نبحث عن مُدرّسي العربية بين العرب المتواجدين في بولندا لأن استضافة مدرّس للعربية من الدول العربية هو صعب جدّاً ضمن الظروف البولندية الراهنة حيث أن ما يوفّره له المرتّب الجامعي لا يكفيه للأسف لتغطية تكاليف السكن ومصروفات الحياة المعيشية.

يقوم بتدريس قواعد اللغة العربية كمحاضرات وتمرينات بولنديون اختصاصيون في هذا المجال. ويقوم بتدريس تدريبات الترجمة إلى البولندية وبالعكس بولنديون وعرب ذوو خبرة طويلة في الترجمة الفورية والقانونية وفي ترجمة المؤتمرات واللقاءات الرسمية وغيرها.

بالنسبة لدراسة الماجستير – التي تتم بعد إنهاء الليسانس – وتستمر سنتين فإن على السنة الأولى هناك (٨ ثماني حِصص) مخصصة لتعليم العربية أسبوعياً، أما على السنة الثانية الأخيرة فَعدد الحِصص يبلغ (٦ سِتّ). من المفروض أن يتعلّم الطلاب خلالها التعابير الاختصاصية في مجال السياسة والدبلوماسية والقانون والأعمال والأدب أيضا. يتحدث المدرّس مع الطلاب كُلّ الوقت من أجل تحضير الخريجين المستقبليّين للاستعمال الصحيح للغة، وتهيئته للعمل في الشركات والسفارات والوزارات في مجال الترجمة أو التعامل مع الاحتياجات ذات الصلة بالعالم العربي. في هذه المرحلة تُعتبر التمرينات والتدريبات في مِضمار الترجمة التخصصية من أهم المواد التي يجب على الطالب إتقانها. والمقصود هنا هو التعرف على الألفاظ والتعابير المستعملة من قبل المترجمين القانونيين المُحلّفين والمتعلقة بالمُحاكمات القضائية وبالوثائق الرسمية المتنوعة. يجب أن يتم التحضير من قبل الطلاب بشكل جيد لهذه الدروس العملية لأن عملهم المستقبلي المسؤول سيكون نجاحه معتمدا على مدى استيعابهم وفهمهم ونشاطهم خلال هذه الدروس. وكذا الدروس العملية المتعلقة بترجمة المصطلحات والألفاظ المستعملة في الدبلوماسية من خلال ترجمة وتهيئة العديد من الوثائق والمُذكّرات التي تتناول أحداثاً سياسية ومفاوضات وعقود ومعاهدات وما شابه ذلك. هذه الدروس يقوم بها في قسمنا أشخاص على تجربة يومية تقريبا في الترجمة في هذا المجال وهم مترجمون قانونيون مُحلّفون. كما أن قسمنا يفتخر بأن مترجمي الوفود الرسمية إلى بولندا والوفود البولندية إلى الدول العربية على أعلى مستوى هم من مدرّسي قسمنا.

في الفترة الأخيرة ظهر في الترجمة مجال جديد مرتبط بهجرة مواطني عدة دول عربية تعاني من أزمات داخلية وحروب إلى أوروبا ووصلت موجاتها إلى بولندا أيضا وكان لا بد من تحضير السلطات المختصة بالهجرة ومراقبة الحدود ليس فقط من ناحية التعرّف على لغات الوافدين وإنما على عاداتهم وتقاليدهم أيضاً. من هنا نرى ضرورة إعداد هذه الهيئات المسؤولة عن رعاية الوافدين في هذا المجال الذي لا يعرفه أحد مثلنا كمستعربين. أحيانا لا تُقدّر السلطات هذه المساعدة التي يمكن أن تقدّمها


ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

جهات أكاديمية مؤهّلة تعرف اللغة والبيئة والعادات إلا بعد فوات الأوان.

من المشاكل الأخرى التي نعاني منها هي تلك التي تخص الفروق بين اللغة العربية الفصحى بشكلها التاريخي الكلاسيكي والمعاصر الأدبي وبين اللغات العامية المَحكيّة. وبما أن اللغة البولندية لا تتأثر بهذه الظاهرة تقريبا، فمن الصعب على طلابنا تفهّم تعقيد هذه الظاهرة بأن مناطق عديدة من الدول العربية أو ضمن الدولة العربية الواحدة تختلف في لهجاتها بشكل واضح عن بعضها لدرجة أن من يُتقن العربية الفصحى فقط يصعب عليه التفاهم مع سكان منطقة ما تتكلّم بلهجة عربية ما، على سبيل المثال يلقى طلابنا صعوبات كبيرة في فهم اللهجة المغربية أو الجزائرية. كما أنهم يتأكدون ويتفاجؤون أثناء زياراتهم للدول العربية من أن معرفة اللغة العربية الفصحى ليست مشتهرة وعامة حتى بين المتعلمين.

في قسم الدراسات العربية والإسلامية بجامعة وارسو يقوم الطلاب خلال سنتين بتعلّم اللهجة المصرية. ويُبدون اهتماما واضحا بتعلّم اللهجات الأخرى وخاصة لهجات تلك الدول العربية التي لها أهمية على الخارطة السياسية للعالم. يُظهرون رغبة في تعلّم لهجة بلاد الشام ولم نستطع توفير هذه المادة لهم بسبب كثافة الدروس عند الأشخاص المؤهلين لتعليم هذه اللهجة.

من بين الصعوبات الأخرى أستطيع الإشارة إلى قِلّة عدد المنح الدراسية لطلابنا من الدول العربية. إن قسم الدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو له شخصية قانونية مرتبطة بكلية الاستشراق في الجامعة ولا يستطيع أن يوقع عقودا واتفاقيات إلا ضمن برنامج "إراسموس" الخاص بدول الاتحاد الأوروبي فيما يتعلق بتمويل المِنَح من الخارج. يقوم طلابنا بالاستفادة من المنح الدراسية إلى الدول العربية في إطار الاتفاقيات الثقافية الثنائية الحكومية مع تلك الدول والتي تختلف من دولة إلى أخرى ومن عام إلى آخر. في الوقت الراهن لدى طلابنا إمكانية للسفر إلى مصر والكويت. سابقا كان لديهم إمكانيات الاستفادة من المنح الدراسية والتدريبية في الأردن وسورية وتونس واليمن. أعتقد أن الفائدة في تعلّم اللغة العربية من قِبَلِهم ستكون أكبر لو كانت فرص الاستفادة من هذه المنح أيضا أكبر لبلدان عربية أكثر.


ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2